

عُلَمَاءُ الْأَصْوَاتِ الْعَرَبِ سَبَقُوا الْفُوَيْبِينَ الْحَرَقَيْنَ

ابتكار نظرية التمايل

الدكتور عبد العزيز مطر
جامعة الكويت

ثم أضاف «دانيل جونز» أن هذا المصطلح قد ينسع ليشمل الحالات التي يتم فيها ادغام أحد الصوتين في الآخر ، بحيث يكونان صوتا واحدا ويسمى هذا النوع «التمايل المجمع أو الادغام» (Coalescent assimilation) ويشرح هذا التعريف في معاذلين على النحو التالي :

- 1 - التمايل الصادي : الصوت : A يستبدل بالصوت B تحت تأثير الصوت : C
- 2 - التمايل المجمع (الادغام) : الصوتان : A, C قد انحر كل منهما على الآخر ، وادغاما واجتمعا في الصوت الموحد : B

ولتختفي من أمثلته بما ياتي :

يمثل «جونز» للتمايل الصادي غير التاريحي بالتغير الذي يطرا على صوت الـ S في الكلمتين: (Horse, shoe) . عندما تربكان مما نحو Horse-shoe (حذوة الحصان) حيث تنطق الـ Sh هكذا S (في) ويمثل للتمايل المجمع (الادغام) Coalescent Assimilation بالكلمتين (Dountshu) you don't فانهما تنطقان مما هكذا

ظاهرة صوتية ذات انحر في التطور النفسي ، اعترف بها ، ورسم حدودها ، وبين الرها اللغويون المحدثون ، ويمثلهم في هذا البحث : النفسي الانجليزي «دانيل جونز» (Daniel Jones) واللغوي العربي الدكتور ابراهيم انيس .

وسييفيك هذا البحث حلقة جديدة ، هي ان هذه الظاهرة الصوتية قد عرفت ايضا عند اللغويين القدماء : ويمثلهم : سيبويه (أبو بشر عمرو) 180 هـ) وابن جني (أبو الفتح عثمان ت 392 هـ) . وسبدا اولا بتعريف هذه الظاهرة ، وتحديد معالمها ، وبيان الرها في التطور الصوتي عند المحدثين ، ثم نعزز ذلك بعرض ما قاله لغوينا القدماء في هذا الصدد .

1 - التمايل عند المحدثين

عقد دانيال جونز نصلا في كتابه (1) (An out line of english phonetics) تناول فيه ظاهرة التمايل (Assimilation) وائرها في تطور اصوات اللغة الانجليزية وقد عرف التمايل بأنه « استبدال صوت بأخر تحت تأثير صوت ثالث يكون مجاورا له في الكلمة او في الجملة »

(1) صفحة : 217 الفقرات من : 837 الى 853

وإذا كان هذان الصوتان المتجاوران متقاربين سترجاً أو صفة ، أو متجلسين ، فان التمايل بينهما قد يصل إلى أن يفني أحدهما في الآخر بادئه له.

ون Irma يلي توضيغ لهذا التحديد للتمايل ، وبيان درجات التأثير بين الصوتين المتجاورين :

١ - الجهر والهمس : يقول الصرفيون ان غال (انتعل) اذا كانت زايا قلت الناء دالا ، نحو ازدجر ، الذهن ، ازدان ، ازدلف ...

فما التفسير الصوتي لقلب الناء في : ازتجر ، وازتهن ، وازن ، واختلف وامثالها دالا ١

في شروط ظاهرة التمايل تقول : ان الناء قد جاورت الراي ، والتجاور هنا نام ، اذ لم يفصل بين الراي والناء حركة . ولما كانت الراي صوتاً مجهوراً وكانت الناء صوتاً مهموراً فان الصوتين يميلان إلى تحقيق الانسجام بينهما ، وهذا فالسر الناء المهموس بالراي المجهورة نجهر بها ، وجبن يجهر بالناء تصبح دالا لأن الناء والدال من مخرج واحد ، فاصبحت الدال والراي متقاربين كلاماً مجهوراً ..

ويسمى التأثير الذي تم في هذه الأمثلة تأثيراً تقدمية ، أي أن الصوت الثاني وهو الناء تأثر بالأول وهو الراي .

وفي قرادة ابن مسعود : (إذا بحشر ما في القبور) اي يبشر ، يقال ان العين وهي صوت مجهور ، جاوردت الناء وهي صوت مهموس ، فتأثرت العين بالناء فهمست ، وجبن نهض العين تصبح حاء لأن الحاء هي النظير المهموس للعين المجهورة ، ويسمى التأثير الذي تم هنا تأثيراً تخلفياً اي ان الصوت الاول وهو العين ، تأثر بالثاني وهو الناء .

وفي اللهجة المصرية تنطق : جهاز تسجيل ، هكذا : جهاس ترجل .

كذلك يمثل «جوائز» بالكلمتين Roast beef حيث تحولت الـ S إلى Z تحت تأثير صوت الـ B المجهور .

ومن العرب المحدثين فقد الدكتور ابراهيم انيس لصلوة في كتابه «الاصوات اللغوية » (٢) تحت عنوان : المايلة Assimilation شرح فيه الظاهرة ، وبين نوعيها الرجعي (٣) والتقدمي (٤) ومثل لكل منها ، لم وفتح درجات تأثير الاصوات المجاورة .

وقال في شرح المايلة .. «تأثير الاصوات اللغوية بعضها ببعض في التوصل من الكلام ... ومجاورة الاصوات بعضها البعض في الكلام التوصل ، هي السر فيما قد يصيب بعض الاصوات من تأثير ».

والاصوات في تأثيرها تهدف إلى نوع من المايلة او الشابهة بينها ، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات او الخارج ، ويمكن ان يسمى هذا التأثير بالانسجام الصوتي بين اصوات اللغة . وهذه ظاهرة شاملة في كل اللغات بصفة عامة ، غير ان اللغات تختلف في نسبة التأثير وفي نوعه (٥)

ومع ان استاذي قد وفى هذه الظاهرة حقها شرعاً وتوضيحاً ، وتمثيلاً وتعديلها ، لعلت انه لم يربط بين ما قوله المحدثون وما ذكره سيبويه وابن جني ، على ما سنتوضحه بعد .

ونعني الان في توضيغ هذه الظاهرة ، وتحديد معالمها والتمثيل لها بامثلة من المصطلحات واللهجات الحديثة ، ثم نعقب بعرض آراء سيبويه وابن جني وتحليلها .

إذا تجاور صوتان تجاورا تماماً ، بحيث لا يفصل بينهما صوت لين (حركة) وكانا مختلفين في صفة الجهر والهمس ، او الشدة والرخاوة ، او الاطباق والانفصال ، فان هذين الصوتين يميلان إلى الانسجام لأن يصيحاً متماثلين في الصفة ..

(٢) الفصل السابع : من ص 126 الى 148 (ط ٣ - ١٩٦١)
(Régressive)

(٣)

(Progressive)

(٤)

(٥) الاصوات اللغوية : 126 .

3 - الابiac والافتتاح : يقول الصرفيون : ١٣١

كانت فاء (افتعل) صوتا من اصوات الابiac : الصاد او الضاد او الطاء او الفاء ، قلبت فاء الافتعال طاء ، نحو : اسطير ، وااضطرر ، واطرد وااظلم ، وهي صيغ (افتعل) من الصبر ، والضرب ، والطرد ، والظلم ..

والذى حدث هنا هو قلب الصوت المنفتح وهو الناء ، الى نظيره المطبق وهو الطاء ، بسبب مجاورة الناء للصوت المطبق ، وهو الصاد ، او الضاد ، او الطاء او الفاء ..

والتالier هنا تقدس ، اي ان الصوت الثاني تالir بالاول . وانما تم هذا التالir ، ليتحقق الانسجام بين الصوتين المتجاورين بحيث يكونان مطبقيين .

وفي اللهجات تقول : مسيطرة اي مسيطرة ، والماء يصخن ، بقلب السين مادا ، وتفسير ذلك ان الصوت المنفتح وهو السين جاور الصوت المطبق ، وهو الطاء في : مسيطرة ، والصوت المستعمل وهو الصاد ، فقلبت السين الى نظيرها المطبق وهو الدال ، والباء ، تحقيقا للانسجام بين الصوتين المجاورين .

4 - انتقال مجرى الهواء : يفرد علماء الاصوات ان مجرى الهواء مع الاصوات العربية يكون من الفم ، الا في صوت الميم والنون ، فان مجرى الهواء معهما من الانف ..

وقد ينتقل مجرى الهواء مع اصوات الفم الى الانف ، وقد ينتقل من الانف الى الفم ، تحت ظروف لغوية خاصة ، هي التمايل غالبا ..

ومن امثلة ذلك : ما رواه سيبويه في كتابه : (٤١٢ / ٢) من قوله : اصحابنا ، يريد اصحاب مطرا . فقد انتقل مجرى الهواء مع الباء الى الانف ، بسبب مجاورة الميم . وحين ينتقل مجرى الهواء مع الباء الى الانف تصبح مينا ، لم حدث الادفام . كذلك انتقل مجرى الهواء مع النون من الانف الى الفم في مثل : ان لم تفعل ، حيث ادفمت النون في اللام ، وذلك ان النون ومحجرى الهواء من الانف ، جاورة اللام ، ومحجرى الهواء معها من الفم ، فقلبت النون لاما ثم حدث الادفام .

5 - انتقال مخرج الصوت : روى سيبويه في كتابه (٤١٤ / ٢) انه يقال في هنبر : هنبر بالمير

وقد حدث هنا نوعان من التالir : تالir الزاي المجهورة في « جهار » بالناء المهموسة في « تسجيل »، تالir تخلفيا ، فهمس بالرأي فاصبحت سينا . وتألir السين المهموسة في « تسجيل » بالعجم المجهورة تالir تخلفيا ايضا ، فجهر بها ، وحين يجهر بالسين تصبح زايا لأنها نظيرها المجهورة .

وفى اللهجة المصرية ايضا ننطق : « خمس دقائق » هكذا : خمر دأبي . وننطق « بالنسبة » هكذا : « بالنزبة » . « وعلى حسب وداد قلبي » هكذا : « على حرب » .. والذى حدث هنا تمايل قلب فيه الصوت المهموس وهو السين الى نظيره المجهور وهو الرأي ، بسبب مجاورة السين للصوت المجهور ، وهو الدال ، او الباء ، تحقيقا للانسجام الصوتي .

كذلك ننطق كلمة « اصدق » وكلمة « مشغول » بجهر الشين ، بحيث تقترب من الجيم الشامية (ج) وتفسير ذلك ان الشين ، وهي مهموسة ، جاورة الدال وهي مجهورة ، فجهر بالشين ، ليصبح الصوتان المتجاوران مجهورين .

2 - الشدة والرخوة : قال اللغويون ان كلمة ست (للمدد ٦) اصلها : سدس ، فقلبت السين تاء فاصبحت ست ، ثم ادفمت الدال في الناء . وتفسير الحالة الاولى ان السين وهي صورة رخوة ، جاورة الدال وهي صوت شديد ، فتألir الصوت الثاني بالاول تالir تقدما فقلبت السين الى نظيرها الشديد وهو الناء . اما الحالة الثانية فقد لنى فيها الصوت الاول ، وهو الدال ، في الصوت الثاني وهو الناء ، والتألir هنا تخلفي .

وقوله تعالى : (وجاءت سيارة) قريء بادفام الناء في السين . وتفسير ذلك ان الناء وهي صوت شديد جاورة السين وهي صوت رخوة ، فتألir الصوت الاول بالثانية فقلبت الناء الى نظيرها الرخوة وهو السين . ثم حدث الادفام .

وقوله تعالى : (ولو لا دخلت جنتك) قريء بادفام الدال في الدال وتفسير ذلك ان الدال وهي صوت رخوة جاورة الدال وهي صوت شديد فقلبت الدال دالا ليصبح الصوتان شديدين ، ثم حدث الادفام .

ومن ذلك قلب الباء الشديدة الى نظيرها الرخوة ، وهو الفاء ، في قوله تعالى : (ان تعجب فعجب) وبعد القلب حدث الادفام .

الصوتين في الآخر ، بحيث ينطوي بالصوتين صوتاً واحداً كالصوت الثاني غالباً أي أنه تأثر بخلفي .. فإذا تجاوز صوتان متقاربان ، أو متجانسان نحو: انت طالباً ، أدهم الصوت الأول وهو الناء في الثاني وهو الطاء ، فنقطت الكلمتان : انطالباً (سيبوبيه : 418/2) و نحو : حدتهم أي حدتهم ، حيث أدهمت الناء في الناء (سيبوبيه 420/2)

ونحو خبطه أي خبطته ، حيث أدهمت الناء في الطاء ، والتأثير هنا تقدمي حيث تأثر الصوت الثاني بالأول فبني فيه (سيبوبيه 423/2) وكذلك قوله تعالى : (وجادت سيارة) حيث أدخلت الناء في السين .

والتجاور في الأمثلة السابقة نام ، حيث لم يفصل بين الصوتين بصوت لين ويسمى هذا الأدفام عند القراء : « الأدفام الصغير » .

وقد يحدث الأدفام مع وجود ناصل هو حركة تصير ، وهذا النوع وارد في قراءة ابن معرو ابن العلاء ، نحو قوله تعالى : (فكلا من حيث شئتما) حيث أدهمت الناء في الشين ، مع وجود ناصل بينهما هو الضمة في (حيث) وكذلك تعالى : (وإذا النفوس زوجت) بادفام السين في الرأي مع وجود ناصل بينهما هو ضمة (النفوس) .

7 - التمايل بين أصوات اللين : كما يحدث التمايل بين الأصوات الساكنة ، يحدث بين أصوات اللين تحقيقاً للانسجام الصوتي بينهما ، هو المسمى عند المحدثين (Vowel harmony)

ويمكن أن نمثل له بما روي أن بين تميم كانوا يقولون : ليم ، شيميد ، سيميد ، وتحيف ، ورفيف ونخيل ، بكسر أو اللها (6) وما يشيع في بعض اللهجات الحديثة من كسر الأول في نحو سميد ونشيط وكبير ... و نحو تحيبة ، بكسر الناء ، تحقيقاً للانسجام بين صوتي اللين المتجاورين .

ومن ذلك فتح اليم في مروحة ومبرد في اللهجات الحديثة ، بدلاً من كسرها كما ت fissi العربية الفصحى في صيغة اسم الله . بـ - المصارحة هذه سيبوبيه هي التمايل عند المحدثين :

وفي القراءان الكريم : (انبثهم) و (من بعد) أجمع القراء على قلب النون فيما .

وفي لهجة الكويت تقول : السبولة بدل السنبلة (نوع من السفن الحفيرة أو القوارب ذكره الرمخشري في الأساس (قرب) .

والتفسير الصوتي لما حدث هنا : إن النون جاورة الباء ، وتحقيقاً للانسجام بينهما انتقل مخرج النون إلى مخرج الباء ، وحين تنتقل النون إلى هذا المخرج تطلق فيما ، لأن اليم كالنون من أصوات الانف ، وكلاهما صوت متوسط بين الشدة والرخواة ، وجود الميم مجاورة للباء يحقق الانسجاماً أكثر لأن الميم في أصوات الانف ، تناظر الباء في أصوات الفم .

ذلك ينتقل مخرج القاف في لهجة الكويت إلى وسط الحنك إذا جاورةت صوت اللين الإمامي (الكسرة أو ياء المد أو الفتحة المرنقة أو الف المد) نحو : جربه ، جذر ، ونبيع ، وجاسم ، بدل قربة ، وقدر ، ورفيق ، وقاسم .

وتفسير ذلك : إن صوت اللين الإمامي جاورة القاف ، ولما كان صوت اللين الإمامي صوتاً يرتفع معه أول اللسان نحو الحنك ، أو يمتد نحو قاع الفم ، فقد جذب مخرج القاف إلى الإمام ، فخرجت من مخرج الجيم ، لأن كلها صوت شديد مجهود .

ذلك ينتقل مخرج الكاف إلى الإمام في لهجة الكويت ، إذا جاورةت الكاف صوتاً من أصوات اللين الإمامية ، ليجدلها إلى وسط الحنك ، فتخرج من مخرج الشين ، والجيم ، لتخرج صوتاً بينهما ، وهو صوت كالجيم الفارسي ، أو كصوت (ch) في الكلمة الإنجليزية : (Chicken)

وذلك مثل : جبير ، جلب ، باجر ، اي كبير وكلب وبآخر .

لنى الحالات الخمس السابقة يبدو ان ظاهرة التمايل واضحها ، حيث قلب صوت الى صوت بخلافه تحت تأثير صوت ثالث ..

6 - الأدفام : بعد الأدفام المسمى درجات التأثير بين الأصوات المتجاورة حيث يلنس أحد

ويملل سببوبه المفارقة في حالي التقرير من الرأي ، او ابدال الصاد زايا بما نسميه « الانسجام الموسيقي » ، فيقول : « وانما دعاهم الى ان يتربوها ويبدلوها ان يكون عطفهم من وجه واحد ، وليس عملاً المستقيم في غرب واحد ، اذ لم يصلوا الى الاصفام (الذي هو اقصى حالات الناير بين الاصوات التجاوزة) ولم يجسروا على ابدال الحال مساداً ، لأنها ليست ببرriادة كالناء في انتعل (اي ان الصوت الاول هو الذي تأثر بالثاني وهو التأثير العكسي) .

واذا كان اللغويون المحدثون يشتغلون لتأثر أحد الصوتين بالآخر ان يكون التجاور كماما يكون الاول مشكلة بالسكنون (7). فان سيبويه قد نص على ذلك هنديا قال : « فاما الذي يشارع به الحرف من مخرجيه فالصاد الساكنة ، اذا كانت بعدها الدال » (426/2) كما يتضح ذلك من امثلة : التصدير ، اصدر ، الفصد ، اشدق ، اشددر (اي اجلدر) ، اجدمعوا ، واجدردوا (اي اجتمعوا ، واجترعوا) .
وان كان سيبويه قد خالف ذلك هنديا قال في موضوع آخر : ان في (اصدر) تقريرا من السראי (259/2) مع ان الفاصل هنا حركة .

ولكن شرط الابدال هند سيبويه الاتحررك الصاد،
فقد قال بعد ان ذكر ان بعض العرب يبدل الصاد في
التصدير والقصد زابا خالصة : « مان تحركت
الصاد لم تبدل ، لانه تم وقع بينهما شيء » يعني
الحركة الفاصلة بين الحرفين .

وَهُدًى يَدْلِي مَعَهُمْ سَبِيلٌ وَلِمَنْ تَجَاوَرَ ،
وَعَلَى أَنَّهُ يَرِي أَنَّ الْحَرْكَةَ تَقْعِيدٌ بَعْدَ الْحَرْفِ .

ولكن هناك استثناء من شرط سكون الحرف الاول في حالة المضارعة ، اذ لحظ سيبويه ان العرب قد يضارعون في حالة الفصل بالحركة ، نحو صدقت . ثم قال « والبيان فيها احسن » (427/2) واورد استثناء آخر من شرط التجاوز اذ قال : « وربما فسّاروهَا بها وهي بعيدة نحو مصادر ، والصراط ، لأن الطاء كالدال » (يظن سيبويه ان المضارعة خاصة بالدال ، ولهذا يشبه بها الطاء حين وجد مضارعة في الصراط) ثم اورد سيبويه ثلاثة امثلة اخرى تمت فيها المضارعة مع التجاوز العام

- 1 - اشدق ، حيث تجهر الشين ، وهذا معنى قول سيبويه « لتضارع بها الرأى » وسبب العبر

تناول سببوبه في أكثر من موضع من كتابه ،
ما يحدث من تقريب بين الاصوات التجاورة سمسى
هذه الظاهرة المضارة (: 426/2) وسماتها التقريب
ايضا (259، 272) كما تناول انفس درجات التأثير
بين التجاوريين ، أي الادهام (404/2 - 426) .

وتُنْسَحِّ نَظِيرَةُ التَّمَالِ مِنْ سَبِيلِهِ فِي الْبَابِ
الَّذِي عَقَدَهُ تَحْتَ هُنَانَ : « هَذَا بَابُ الْحَرْفِ الَّذِي
يُضَارِعُ بِهِ حَرْفٌ مِنْ مَوْضِعِهِ ، وَالْحَرْفُ الَّذِي يُضَارِعُ
بِهِ ذَلِكَ الْحَرْفَ وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعِهِ » (426/2).

ويعني سببوبه بالحرف الذي يشارع به حرف من موضعه : « الصاد الساكنة اذا كانت بعدها الدال ، وذلك نحو : مصدر ، واصدر ، والتتصدير »

ويعد أن يبيّن سببويه أن ادفام الصادقى الدال، أو ابدال الدال حرفاً يناسب الصاد كالطاء غير ممكن في هذه الامثلة، يفسر ما حدث في هذه الامثلة بأنه مشارعة الصاد بالرأي، أي تقريبها منها، لأن الرأى مجهورة كالدال، ليتحقق بهذا الانسجام بين المترادفين، وقد فسر سببويه هذه المشارعة في موضع آخر من كتابه (259/2) أذ قال، وهو يمثل أمالة الآلف الى الياء بسبب الكسرة، بأنها تقرب بين الحرفين: «ارادوا ان يتقربوا منها كما قربوا في الادفام الصاد من الرأى حين قالوا صدر، فقربها من الرأى والصاد التماس الخفة، لأن الصاد قريبة من الدال فقربها من أشباه المحروف من موضعها بالدال».

ولكن سببوبه من المثال الاخير : صدر ، لم يقييد الصاد بانها ساكنة ، كما جاء في النص الذى عالج فيه المشارعة (426/2).

ومما يؤيد أن ما حدث في الصاد هو تقريرها من الرأي قول سبويه « ولم يدلواها زايا خالصة كراهية الإجحاف بها للأطباق » ثم يعقب سبويه بأنه سمع العرب الفصحاء يجعلون الصاد زايا خالصة أي بدون أطباق ، وينظر لذلك بذهباب الأطباق لـ *الادفام* ، ويعني بذلك قولهم « *انعسالا* » ، أي *الخص سالما* » (418/2)

أي أنه يقولون في التصدير : التزديـر ، ولـى
الغمـد ، الـفرد ، ولـى اـصدرت : اـزدرـت .

(7) الدكتور ابراهيم انیس : الاصوات اللغوية : 131 .

أي ان الشين لما جاورة واحدا من هذه الاصوات المستعملة نارت به ففختمت ، وحين تفخم الشين تبدل صادا . ولكن سببويه يبين ان « الامر في الاكثر الاجود في كلامهم ترك الشين على حالها وانما يقولها من العرب بنو العنبر » (428/2).

وفي ضوء الممارسة كذلك يفسر سببويه قول العرب : ست (اي العدد 6) ويدرك ان اصلها سدس . ويبيّن ان العرب لم يدفعوا الدال : « كرهوا ادفام الدال فيزداد العرف سينا ، فتشتقى السينات ، ولم تكن الشين لتدفع في الدال .. فابدلوا مكان الشين اشبه العروض بها من موضع الدال ، ليلا يصيروا الى التقل مما فروا منه اذا ادفعوا ، وذلك العرف الناء ، كانه قال سدت ، ثم ادفع الدال في الناء » (428/2)

ويدل على تعمق سببويه في نظره سر الممارسة واستخدامها في تفسير التغير الصوتي قوله في تعليق قول بعض العرب : يستبعي بدل يستطبع : « ان شئت قلت : ابدلوا الناء مكان الطاء ليكون ما بعد الشين مهوسا مثلها ، كما قالوا : ازدان (اصلها : ارتان) ليكون ما بعدها (الرأي) مجحورا » (429/2) .

اما الممارسة في الحركات (اصوات اللين) فتبعد عن سببويه فيما يلي :

1 - الامالة (259/2) قال : « فالالف تعالى اذا كان بعدها حرف مكسورة ، وذلك قوله مابد ، وعالم ومسجد ، ونتائج ، ومداشر ، وهابيل . وانما امالوها للكسرة التي بعدها ، او ادوا ان يتقوها منها كما قربوا في الادفام الصاد من الرأي » اي ان الغرض من الامالة هو الانسجام بين اصوات اللين .

ويؤيد ذلك قوله في باب ما تقلب فيه الواو باء اذا سكنت وقبلها كسرة (نحو ميران ورماد) « فكان العمل من وجه واحد اخف عليهم (وجسد حرقة الامالة بعد الكسرة) .. كما انهم اذا اذروا العرف من العرف كان اخف عليهم ، نحو قوله : ازدان واصطبر » (357/2)

2 - في تفسير باب لعل يفعل (مثل لفتح يفتح) الذي ورد في الاعمال التي منها او لا منها من حروف الحلق (ا - ه - ع - ح - غ - ظ) قال : « وانما تتحوا هذه العروض لأنها سفلت في الحلق ، لكنهوا ان يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من العروف ، فجعلوا من العرف الذي في حبرهما

هنا ان الشين وهي صوت مهموس جاورة الدال ، وهي صوت مجحور ، فجهر بها لتحقيق الانسجام والتقريب ، وحين يجهر بالشين تقترب من الرأي .. ولما كانت الرأي من مخرج غير مخرج الشين فقد عبر عن ذلك سببويه في هنوان هذا الباب ، حين قال « والحرف (الشين) الذي يشارع به ذلك العرف (الرأي) وليس من موضعه »

2 - اجدر ، حيث تطرق الجيم قريبة من الرأي ، اي جيما شديدة التعطيش ، وكتبت هذه سببويه : اشدروا لما كانت الجيم والدال من الاصوات المجحورة ولم يجد سببويه تفسيرا لهذه الممارسة ، علل ذلك بالقياس على الممارسة مع الشين في اشدق ، اذا قال « اذا قرب من الرأي » انها (الجيم) من موضع حرف قد قرب من الرأي يعني الشين في اشدق .

3 - اجدعوا اي اجتمعوا ، واجدرروا ، اي اجترعوا . والذى حدث هنا ان الناء وهي صوت مهموس جاورة الجيم ، وهي صوت مجحور ، تأثرت بها تأثرا تقدما (الثاني بالاول) فجهر بها اي ابدل دالا .

وفي موضع آخر يفسر سببويه ، في ضوء الممارسة والتقارب ، قول العرب فيما كان على وزن مفتول من الصبر : مصطبر : فيقول « فابدلوا مكانها اشبه العروض بالصاد ، وهي الطاء ، ليستعملوا السنتمهم في ضرب واحد من العروض ، ويكون علهم من وجه واحد ، اذا لم يصلوا الى الادفام » (421/2) ومعنى قوله « ليستعملوا السنتمهم في ضرب واحد » ان نطق الصاد وهي مطبقة لا بلائمه نطق الناء ، وهي مرفقة فابدلوا مكان الناء طاء للانسجام بين الصوتين المطابقين .

ومن الممارسة هذه سببويه ايضا : قلب الشين صادا اذا كانت بعدها القاف في كلمة واحدة ، عند بنى العنبر ، ويتعلل ذلك بقوله : « ابدلوا من موضع الشين اشبه العروض بالقاف ليكون العمل من وجه واحد ، وهي الصاد » (427/2) ثم قاس على ذلك الخاء والعين « لأنهما بمنزلة القاف » ، وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم ، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق ، ثم قاس الطاء على القاف ، لأنها في التصدع مثل القاف

(428/2)

وهو الالف « 253/2) اي ان الفتحة المناسبة حروف الحلق لأن الفتحة بعض الالف ، ومخرج الالف (عنه) من اقصى الحلق مع المزمه والهاء (405/2) وهكذا نجد ال Assimilation (Vowel harmony) اي التمايل او المفارقة او التقريب ، والانسجام بين اصوات الين ، وافحة جدا في فكر سيبويه (ات 180 هـ) .

الادفام الاصغر والتقريب عند ابن جنى

عالج ابن جنى ظاهرة « التمايل او المفارقة » تحت عنوان « الادفام الاصغر » وتعريفه وامثلته تتطبق على المفارقة عند سيبويه : يقول ابن جنى في الخصائص (141/2) في تعريفه « واما الادفام الاصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وادناؤه منه ، من غير ادفام يكون هناك ، وهو ضروب » .

وقد اورد ابن جنى من ضروب هذا التقريب : قلب ثاء الافتعال طاء اذا كانت الفاء صادا او ضادا او طاء او ظاء (141/2) وقلبها دالا اذا كانت الفاء زايا او دالا او ذالا (142/2) وقلب السين صادا اذا وقعت قبل الحرف المستعمل فتقرب منه (142/2) واورد ايضا تقريب الصاد من الراء ل المجاورة الدال ، في مصدر ، والتصدير ، وقول العرب في مثل « لم يحرم من فرده » اي من نصل له . ويقدم تفسيرا علميا في ضوء التقريب ، او الادفام الاصغر ، فيقول في هذا المثل « اصله : نصل له ، ثم استكتت العين ، على قولهم في ضرب : ضرب (بتسكين الراء بدل خفضها) قوله (القطام) :

ونحوه في مدائهم نظاروا

لشارتقديره : نصلله ، فلما سكت الصاد نضفت به ، وجاورت الصاد - وهي مهموسية - الدال - وهي مجحورة - فربت منها بان اشمت شيئا من لفظ الرأي المقاربة للدال بالجهير (الخصائص: 144/2) .

ولو ان لغويانا محدثنا فسر التمايل في هذه الحالة لما خرج مما قاله ابن جنى في هذا التفسير . كذلك يفسر ابن جنى ما فسر سيبويه من قبل قوله : ست (المدد 6) واصلها سدس (الخصائص : 145/2) .

ولم ينس ابن جنى التقريب في الحركات ، ونعد من ذلك منه الامالة « ائما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت » اي الفتحة الى الكسرة (141/2) من ذلك منه الامالة « ائما وقعت في الكلام لتقريب العرب : شعير وبمير ورفيف ، بكسر الواو فيها (143/2) . وقولهم : فعل يفعل (باب فتح) مما فيه او لامه حرف حلقي ، نحو سال يسأل وفرا يقرأ .. « وذلك انهم شارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق ، لما كان موضعا منه مخرج الالف التي منها الفتحة » (143/2) .

وقد تحدث اللغويون واصحاب المجممات من المفارقة والتقريب ، وفسروا في فولها كثيرة من التطور الصوتي ، ولكن ما قالوه لم يخرج عما وضع آسسه ، وبين حدوده ، سيبويه وابن جنى . البس لنا ان نقول ان علماء الاصوات العرب القدماء قد سبقوا اللغوين الحديثين في كشف اسرار التمايل بين الاصوات التجاورة ، وابتکار نظرية التمايل Assimilation ؟ بلسى ا.